صلة الرحم

عباد الله مازلنا مع البر مازلنا مع الإحسان مازلنا مع الآفة التي أصابت المجتمعات الإسلامية في أسرها وقد تكلمنا في الخطبتين السابقتين عن بر الوالدين وكيف أمرنا الله وحثنا الشرع على هذا البر وها نحن نكمل في هذه الخطبة ونوسع في دائرة البر ونتكلم عن صلة الرحم عمومًا لنستكمل ثلاثية البر.

والرحم نوعان: ١. رحم عامة. ٢. رحم خاصة.

فالرحم العامة: رحم الدين وهم المسلمون فيجب المحبة لأهل الدين ونصرتهم والنصيحة لهم، وترك مضارتهم وتمريض المرضى، وتغسيل الموتى ودفنهم.

ورحم خاصة: وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه وهي أخص وتقدم على الرحم العامة فيجب النفقة على من تجب عليك النفقة عليهم وتفقد أحوالهم وتعاهدهم في أوقات الضرورة.

وهم كل ما يشملهم ويعمهم الرحم كل على حسب درجته فالأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام والعمات وأولادهم والأجداد والجدات والأخوال والخالات وأولادهم.

يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾[النساء: ١]، أي اتقوا الله في الأرحام فلا تقطعوها وصلوها.

على المرء عباد الله أن يتعلم دينه فكم أناس يفعلون النوافل ويتقاتلون عليها وهم تاركون للفروض. وكم من أناس ينفقون أموالًا طائلة في شيء ليس واجبًا عليهم ويتركون ما عليهم من ديون.

فانظر مثلًا لهذا الذي يبني مسجدًا أو يساهم فيه أو في أي صدقة جارية أو ينفق أمواله في عمرة أو حجة نافلة وقد ترك عليه من صلة رحم والإنفاق على فقرائهم وهو لا يعلم إن ذهب إليهم ووصلهم وأنفق على المحتاجين منهم أفضل من حجة أو عمرة أو بناؤه لهذا المسجد ذلك لأن الأول فرض يعاقب على تركه والثاني نفل إن شاء فعل وإن شاء تركها.

ولذلك فإن لهذا الواجب وهذه الفريضة فضل عظيم وثمرات يانعة منها:

أولًا: صلة الرحم تزيد في العمر والرزق:

يقول ﷺ: (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)[1] وفي رواية أخرى: (**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)[2].

ويقول الرسول والكريم ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ لَيُعَمِّرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ، وَيُثْمِرُ لَهُمُ الأَمْوَالَ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُنْذُ خَلَقَهُمْ بُغْضًا لَهُمْ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِصِلَتِهِمْ أَرْحَامِهِمْ**)[3]، وأما البسط في الرزق فمعروف وهو أن صلة الرحم سبب في زيادة الرزق وهذا واضح، أما المد في العمر فقيل بسعة الحال وعافية البدن وتنعيم البال

وقيل زيادة في العمر حقيقية.

والراجح الأول والشاهد قوله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُؤَخِّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَلَكِنْ زِيَادَةُ الْعُمُرِ ذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ يَرْزُقُهَا اللَّهُ الْعَبْدَ، فَيَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَيَلْحَقُهُ دُعَاؤُهُمْ فِي قَبْرِهِ، فَذَلِكَ زِيَادَةُ الْعُمُرِ**)[4].

ثانيًا: غفران الكبائر:

وقد مر لنا ذلك عندما أتى النبي ﷺ رجل فقال (**إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٌ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا**)[5].

ثالثًا: مضاعفة ثواب الصدقة:

فلما سألت زينب امرأة بن مسعود عن صدقتها على زوجها وأيتام في حجرها هم بنو أخيها وبنو أختها قال ﷺ: (**لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**)[6]، وقال ﷺ لميمونة امرأته لما أعتقت

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٨٦)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٥٧).

[2] أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده (١٣٨١١)، وقال الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٤٨٨): حسن لغيره.

[3] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (١٢٥٥٦)، وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (٨/١٥٥): إسناده حسن.

[4] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الأوسط (٣٣٤٩)، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٥٤٣): منكر.

[5] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (١٩٠٤)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (١٩٠٤).

[6] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٤٦٦)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٠٠٠).

وليدة لها: (**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ**)[1]، وكذلك نصح رسول الله ﷺ أبا طلحة لما أراد يتصدق بحديقته (**أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ**)[2]. وأفضل الصدقة في الرحم هو الذي يسيء إليك بل الذي يضمر لك العداوة يقول سبحانه وتعالى ﴿ **ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** ﴿٣٤﴾ ﴾[فصلت: ٣٤].

ويقول ﷺ: (**إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ**)[3]، فإن استمرت عدواته بعد ذلك فإن الله يحفظك مكره، فقد أتى رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**)[4].

بل أقول عباد الله كما قال بعض أهل العلم أن الصلة بالنفقة واجبة على بعض أقاربك واستشهدوا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ** ﴾[البقرة: ٢٣٣] أي كما أنه يرثه مورثه لو مات مورثه وهو غني هكذا عليه أن ينفق عليه إن كان فقيرًا حيًا.

رابعًا: من أحب الأعمال إلى الله:

وقد بين النبي ﷺ أن صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله بل سببًا في دخول الجنة والبعد عن النار فعن أبي أيوب رضي الله عنه: (**أَنَّ أَعْرَابِيًّا، عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ**

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٥٩٢)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٩٩٩).

[2] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٤٦١)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٩٩٨).

[3] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٤٠٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١١١٠).

[4] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٥٨).

هُدِي"، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " تَعْبُدُ اللَّهَ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ)[1].

خامسًا: صلة الرحم من شعب الإيمان:

يقول ﷺ: (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**)[2].

وبالجملة فإن في صلة الرحم عشر خصال محمودة:

١. رضا الله.
٢. فرح الملائكة لأنهم يفرحون بصلة الرحم.
٣. إدخال الغم على إبليس.
٤. إدخال السرور عليهم لقوله ﷺ: (**وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ**)[3].
٥. حسن ثناء المسلمين عليه وحبهم له.
٦. زيادة في العمر.
٧. بركة في الرزق.
٨. سرور الأموات؛ لأن الآباء والأمهات يسرون بصلة الرحم.
٩. زيادة في المودة.
١٠. زيادة في الأجر بعد موته لأنهم يدعون له بعد موته.

عباد الله في كلامنا كله لم نتكلم على هؤلاء الذين يكافئون بعضهم بعضًا في الصلة فحسب بل كما قال ﷺ: (**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**)[4].

أما من قطع رحمه وكثير ما هم، فإن من عقابهم:

١. **الطرد من رحمة الله:**

يقول تعالى﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾** ﴾ [الرعد: ٢٥]، ويقول جل شأنه: ﴿ **فَهَلْ**

---

[1] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٣٩٦)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (١٣).
[2] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦١٣٨).
[3] أخرجه الطبراني رحمه الله في معجمه (٨٦١)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٦).
[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٩١).

﴿ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣] أصمهم أي أصم آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، وأعمى أبصارهم عن رؤية الحق والانتفاع به وهذه العقوبة الدنيوية أما الأخروية فهي اللعنة وهي الطرد من رحمة الله.

وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَت: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾**)[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله رضي الله عنها: (**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**)[٢]، وهذه صيغة خبر ويفهم منها الدعاء.

٢. تعجيل العقوبة:

يقول ﷺ: (**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**)[٣].

٣. لا يقبل دعاؤه:

(**كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ جَالِسًا بَعْدَ الصُّبْحِ فِي حَلْقَةٍ، فَقَالَ: "أَنْشُدُ اللَّهَ قَاطِعَ رَحِمٍ إِلا مَا قَامَ عَنَّا، فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُوَ رَبَّنَا، وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُرْتَجَةٌ دُونَ قَاطِعِ الرَّحِمِ"**)[٤].

---

[١] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٨٣٠)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (٢٥٥٤).

[٢] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٨٩)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه واللفظ له (٢٥٥٥).

[٣] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٩٠٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٩٠٢).

[٤] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٨٧٩٣)، وصحح إسناده الهيتمي المكي في الزواجر (٢/٧٧).

٤. لا يقبل عمله:

يقول ﷺ: (**إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ**)[١].

٥. لا يدخل الجنة:

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**)[٢]، قال سفيان في رواية (**يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ**)[٣].

فلا تكن عبد الله من الغافلين

هذا هو الحصاد المر

فكم من قريب يتضور جوعًا وقريبه يتقلب في النعيم ظهرًا لبطن!

وكم من قريب يظل مريضًا سنوات طويلة لا يجد ثمنًا لدواء ولا لغذاء وقريبه يرفل في النعيم

أين الرحمة؟ أين الأخلاق؟ أين المروءة؟ أين النخوة؟ أين الإسلام؟

---

[١] أخرجه البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (٧٥٩٥)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٢٥٣٨).

[٢] أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٨٤)، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٥٦).

[٣] أخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٥٦).